
المديرية الجهوية للثقافة
جهة العيون الساقية الحمراء
الصحة والمجتمع:
مقاربات متقاطعة
تقديم:
الدكتور شرايمي محمد
التنسيق:
رشيد بونا
محمد بونعاج
محمد جراي
أحمد أهل السعيد
عبد الله السعيدي
مؤلف جماعي محكم
الصحة والمجتمع: مقاربات متقاطعة
أشغال الندوة العلمية الوطنية
بالمعهد العالي للمهن التمريضية
وتقنيات الصحة بالعيون(ISPITS)
يوم 11 ماي 2024

المملكة المغربية
وزارة الثقافة و الاتصال
قطاع الثقافة
المديرية الجهوية للثقافة
جهة العيون الساقية الحمراء

منتدى الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية

الصحة والمجتمع:
مقاربات متقاطعة

تقديم:

الــدكتــور شرايمي محمد

تنسيق:

رشيد بونا

محمد بونعاج   محمد جراي

أحمد أهل السعيد   عبد الله السعيدي

مؤلف جماعي مُحَكَّم

عنوان الكتاب: **الصحة والمجتمع: مقاربات متقاطعة**
تأليف: منتدى الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية
الطبعة الأولى 2025
دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع
Dépôt Légal : 2025MO2377
ISBN : 978-9920-23-547-1

الصحة والمرض من خلال ثقافة مجتمع الصحراء

دراسة في علم الاجتماع الطبي

شرايمي محمد

أستاذ علم الاجتماع بجامعة عبد المالك السعدي – تطوان

ملخص

يتناول هذا المقال الصلة الجوهرية بين الصحة والمرض في سياق ثقافي متعلق بمجتمع الصحراء في المغرب. ويسلط الضوء على تأثير العوامل البيئية والاجتماعية، مثل المناخ والعادات القبلية، على سلوك الأفراد تجاه المرض والعلاج. علاوة على ذلك، يكشف عن تأثير المكونات السوسيولوجية والثقافية على تصورات الصحة. في هذا الصدد، لا يقتصر فهم الصحة والمرض على الجوانب البيولوجية فقط، بل يشمل أيضا العادات والمعتقدات الشعبية والأمثال والشعر، مما يبرر النظرة الخاصة للمجتمع إلى هذه القضايا. بالإضافة إلى ذلك، يستعرض المقال دور المعالجين التقليديين والممارسات العلاجية الشعبية مقارنة بالطب الحديث. وفي النهاية، يؤكد على نقطة أساسية، وهي العلاقات الإنسانية بين الأطباء ومرضاهم داخل المؤسسات الصحية.

الكلمات المفتاحية :علم الاجتماع الطبي، ثقافة الصحة والمرض، مجتمع الصحراء.

Abstract

This article discusses the intrinsic link between health and illness within a cultural context related to Sahrawi society in Morocco. It highlights the influence of environmental and social factors, such as climate and tribal customs, on individuals' behaviors regarding illness and treatment. Furthermore, it reveals the impact of socio-cultural components on health perceptions. In this regard, the understanding of health and illness is not

limited to biological aspects but also integrates customs, popular beliefs, proverbs, and poetry, which justify the community's specific perspective on these matters. Additionally, the article examines the role of traditional healers and popular therapeutic practices in relation to modern medicine. Ultimately, it emphasizes a crucial point: the human relationships between doctors and their patients within healthcare institutions.

Keywords: medical sociology, culture of health and illness, Sahrawi society.

Résumé

Ce présent article évoque le lien intrinsèque entre la santé et la maladie dans un contexte culturel afférent à la société Sahraoui au Maroc. Il met en lumière l'emprise des facteurs environnementaux et sociaux, tels que le climat et les coutumes tribales, qui agissent sur les comportements des individus face à la maladie et au traitement. En outre, il révèle l'impact des composantes socio-culturelles sur les perceptions de la santé. Sur ce point, la compréhension de la santé et de la maladie ne se limitent pas aux aspects biologiques, mais intègrent également les coutumes, les croyances populaires, les proverbes et la poésie, ce qui justifie la vision spécifique de la communauté sur ces questions. Par ailleurs, l'article examine également le rôle des guérisseurs traditionnels et des pratiques thérapeutiques populaires par rapport à la médecine moderne. Au final, on a mis en

exergue un point crucial, celui des relations humaines entre les médecins et leurs patients au sein des institutions de santé.

Mots-clés : sociologie médicale, culture de la santé et de la maladie, société Sahraoui

تقديم

يمثل المرض والصحة ظاهرتين محوريتين في الحياة البشرية، إلا أن فهمهما يختلف باختلاف السياقات الثقافية والاجتماعية. في مجتمع الصحراء، تتداخل المعتقدات الثقافية، والتقاليد القبلية، والممارسات العلاجية التقليدية مع الطب الحديث، مما يؤثر على إدراك الأفراد للصحة والمرض واستجابتهم لهما. لذا، يطرح هذا المقال تساؤلا رئيسيا هو: كيف تؤثر الثقافة الصحراوية على مفهوم الصحة والمرض وسلوك الأفراد تجاه العلاج والمؤسسات الصحية؟

وينطلق المقال من الفرضية القائلة بأن مفهوم الصحة والمرض في مجتمع الصحراء ليس مجرد حالة بيولوجية، بل هو بناء اجتماعي وثقافي متأثر بالمعتقدات الشعبية، والأعراف القبلية، واللغة، والتفاعل الاجتماعي، مما ينعكس على سلوك الأفراد تجاه الطب التقليدي والحديث.

ويسعى هذا المقال إلى استكشاف الأبعاد الاجتماعية والثقافية لمفاهيم الصحة والمرض، من خلال تحليل التصورات النظرية والمفاهيم المرتبطة بها. كما يهدف إلى تسليط الضوء على مظاهر الصحة والمرض في إطار ثقافة مجتمع الصحراء، مع التركيز على تعقيد التجارب الإنسانية المتعلقة بهذين الجانبين. ويتضمن هذا التحليل السياق الاجتماعي الذي تؤثر فيه البنى القبلية على تشكيل هذه المفاهيم والممارسات.

في علم الاجتماع الطبي

برز علم الاجتماع الطبي كفرع من علم الاجتماع في أواخر القرن التاسع عشر، حيث أدرك علماء الطب أهمية العوامل الاجتماعية في الصحة والمرض. ويعتبر شارلز ماكينتاير (Charles McIntire) أول من استخدم مصطلح 'علم الاجتماع الطبي' في مقال نشره عام 1894. واستعملت فيما بعد Elizabeth Blackwell[1] عبارة علم الاجتماع الطبي سنة 1902، لتقديم سلسلة من

1.Blackwell, E. (1902). *Essays in medical sociology* (Vols. 1-2). London: E. Bell.

المقالات. ثم نشر كذلك James P. Warbasse[2] سنة 1910عملا يحمل نفس العنوان. وفي سنة 1935 ستظهر مقالةHenderson lawrence[3] تحت عنوان "الطبيب والمريض كنظام اجتماعي".

والواقع ان هناك أربعة رواد استطاعوا الاسهام المتميز في علم الاجتماع الطبي، وتوظيف المعرفة السوسيولوجية في فهم الممارسة الطبية والصحة والمرض، وبالتالي تقديم نتائج علم الاجتماع للمشتغلين بالطب، لتدعيم فهمهم للمجتمع طالب الخدمة، ولتيسير الأداء المهني، ويأتي Talcott Parsons[4] على رأس هؤلاء الرواد، حيث قدم تحليلا سوسيولوجيا لدور المريض، كما قدم Robert King Merton[5] اسهامات عديدة حول التعليم الطبي والنظرية الاجتماعية، ثم جاء الرائد الثالث E. Freidson[6] ، وتبعه D. Mechanic[7] وما قدماه حول سلوك المرض، وعلاقة الطبيب بالمرض، والانماط المعيارية التي تحكم هذه العلاقة..إلخ.[8]

وخلال سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، مر مجال علم الاجتماع الطبي بفترة نمو هائلة، قبل أن يبلغ ذروته في أوائل السبعينيات. إذ خلال هذين العقدين، شهد هذا المجال ازدهارا أكاديميا ونجاحا كبيرا. كما تطورت الأنثروبولوجيا الطبية، على غرار علم الاجتماع الطبي، بشكل ملحوظ، لا سيما في البلدان الأنجلوسكسونية. وتشعبت فيما بعد المواضيع بعد أن توالت الدراسات المتعلقة بهذا الفرع من علم الاجتماع.

ويوظف علم الاجتماع الطبي النظريات والمناهج المختلفة التي يستخدمها علم الاجتماع العام. ويركز في موضوعاته على نقط التقاء الطب وعلم الاجتماع. أي كل السلوكات الاجتماعية التي تهم الصحة والمرض.

---

2 Warbasse, J. P. (1910). *Medical sociology: A series of observations touching upon the sociology of health and the relation of medicine to sociology*. New York: Appleton.

3 Henderson, L. J. (1935, May 2). Physician and patient as a social system. *[Journal/Publisher information if available]*.

4 Parsons, T. (1955). Social structure and dynamic process: The case of modern medical practice. In T. Parsons, *The social system* (pp. 428-479). (F. Bourricaud, Trans.). *Éléments pour une sociologie de l'action* (pp. 193-255). Paris: Plon. (Original work published 1951).

5 Merton, R. K. (1957). *Some preliminaries to a sociology of medical education*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

6 Freidson, E. (1970). *Professional dominance: The social structure of medical care*. New York: Atherton Press.

7 Mechanic, D. (1978). *Medical sociology*. New York: The Free Press

8 المكاوي، ع. (1989). *علم الاجتماع الطبي: مدخل نظري* (ص. 27-28). دار المعرفة الجامعية، مصر.

ويميل بعض الباحثين إلى استخدام مصطلح "علم اجتماع الصحة" بوصفه أكثر شمولا من "علم الاجتماع الطبي"، إذ يتجاوز دراسة النظم الطبية ليشمل الأنماط الاجتماعية للصحة والمرض.. أي أنه هو العلم الذي يقوم بدراسة قضايا الصحة والمرض في ارتباطها بمختلف الجوانب السوسيولوجية.

مفهوم الصحة والمرض

يحتوي علم الاجتماع الطبي على العديد من المفاهيم المتعلقة بالصحة والمرض. والصحة، وفقا لمنظمة الصحة العالمية، هي حالة من الاكتمال البدني والعقلي والاجتماعي، وليست مجرد غياب المرض أو العجز. وهي الحالة المثالية لتركيب الانسان الجسماني والعقلي والنفسي والاجتماعي بحيث يكون فيها الشخص خاليا من اية اعاقة أو مرض[9]. ويمكن القول على أنها الحالة السليمة للجسم عضويا وعقليا ونفسيا.

والمرض هو حالة غير طبيعية تؤثر على جسم الكائن الحي، وعادة ما تكون مرتبطة بعلامات وأعراض، ويكون نتيجة لعوامل خارجية؛ مثل: الأمراض المعدية، أو نتيجة لعوامل ذاتية؛ مثل: أمراض المناعة الذاتية. فالمرض اذن، ناجم عن اختلالات في بنية ووظيفة أعضاء الجسم واجهزته.

إن الصحة والمرض حالتان تخصان الإنسان والحيوان على حد سواء، والاختلاف بينهما يكمن في كيفية تفاعلهما معهما. فالأول ينتج سلوكات اجتماعية وثقافية حسب طبيعة المرض الذي يحمل، بينما الثاني لا يغير المرض من سلوكه، ليبقى حالة فيزيقية مجردة من الاجتماعي.

الثقافة والصحة والمرض

تشمل الثقافة مجموعة من الأفكار والتصورات والمعتقدات والسلوكيات المشتركة التي تشكل حياتنا، كما تتضمن تعريفاتنا عن الصحة والمرض وطريقة الاستجابة للمرض، والشعور بالألم والتعب. تعد الممارسات والمضامين الثقافية الإطار الذي نشأ فيه الطب وتم تعليمه وممارسته داخل هذا السياق أيضا[10].

---

[9] حمادي علي، ي. ، & حسن جاسم، خ. (2024). علم الاجتماع الطبي في ميدان الصحة والمرض. *دراسات اجتماعية، العدد 44*، [تاريخ الاسترجاع 12-10-2024]، من [رابط المقالة](https://www.iasj.net/iasj/download/14a721ee137c2b41).

[10] خليل، ع. (2006). *في علم الاجتماع الطبي: ثقافة الصحة والمرض* (ص. 149-150). القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

وتمارس الثقافة تأثيرها على الصحة والمرض من خلال السلوكات التي تتضمنها، من عادات وتقاليد واعراف وامثال وشعر وقصص وحكم ومرويات وطقوس وشعائر وغيرها من العناصر الأخرى ذات العلاقة بالصحة والمرض.

وتؤدي الثقافة دورا أساسيا في تشكيل فهم قضايا الصحة والمرض، حيث تتأثر هذه القضايا بشبكة التفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل المجتمع، وبالطريقة التي يدرك بها الأفراد طبيعة الأمراض.

فلكل ثقافة تفسيراتها التي تميزها. لذلك يعتبر المكون الثقافي مدخلا أساسيا لفهم قضايا الصحة والمرض بمجتمع الصحراء.

الصحة والمرض من خلال ثقافة مجتمع الصحراء

يشكل الانتماء الثقافي الإطار المرجعي الذي يعتمد عليه الفرد في فهم وتفسير الظواهر المرتبطة بالجسم، وخاصة المرض وأعراضه. وتوجد علاقة وثيقة بين البيئة الصحراوية والصحة والمرض، حيث تتأثر الحالة الصحية لسكان الصحراء بعوامل بيئية متعددة، منها:

- طبيعة التربة والرمال.
- المناخ المتطرف، حيث يكون شديد الحرارة صيفا وباردا شتاء.
- ندرة المياه وجودتها.
- نوعية الغذاء المتوفر.
- المعتقدات والتصورات الثقافية حول الصحة والمرض.

يرتبط المسار الاجتماعي للمرض ارتباطا وثيقا بالسياق الثقافي للمجتمع، حيث ينعكس في أنماط الحياة السائد. وتتسم ثقافة مجتمع الصحراء بثروة لغوية واسعة من المصطلحات والتعبيرات التي تجسد مفاهيم الصحة والمرض.

الصحة والمرض في الذاكرة الشعبية لمجتمع الصحراء.

تتجلى مفاهيم الصحة والمرض بوضوح في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية لمجتمع الصحراء، سواء في التواصل، التفاعل، أو التبادل اليومي. إذ يحمل أفراد هذا المجتمع تمثلات خاصة حول هذين

المفهومين، تعكسها ذاكرتهم الشعبية التي تحتفظ بتفاصيل الأمراض والأوبئة التي أثرت بشكل عميق على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية. وقد بقيت هذه الأحداث خالدة في ذاكرتهم من خلال الروايات الشفوية والتأريخ لها، خاصة في ظل بيئة تتميز بارتفاع درجات الحرارة والجفاف وندرة المياه، مما زاد من صعوبة مواجهتها. ومن بين هذه الأوبئة والأمراض. ومن بينها:

1819 عام الطاعون.

1921 عام جدري الحيران.

1944 عام الجذري.

1953 عام الدكة.

التحية كسلوك ثقافي في مجتمع الصحراء: جسر للتواصل وبناء العلاقات الاجتماعية

يعتبر إلقاء التحية سلوكا ثقافيا يوميا في مجتمع الصحراء، حيث يلعب دورا مهما في تعزيز التواصل وبناء العلاقات الاجتماعية. يمارس هذا السلوك في مختلف المواقف، حيث يعد مدخلا للقاء أو التعارف، ويتم خلاله تبادل عبارات تدل على السلامة والصحة. ومن خلال هذه التحيات، يتم استخدام عبارات ذات تأثير اجتماعي قوي، مثل:

- "اشنبت صحتك؟" (السؤال عن الحالة الصحية).
- "معافي؟" (السؤال عن الخلو من المرض).
- "ياك الا الخير؟" (السؤال عن عدم وجود مشاكل، بما فيها الصحية).
- "لا بأس؟" (السؤال عن عدم وجود مشاكل، بما فيها الصحية).

وتعكس هذه العبارات الاهتمام بالآخر وتعزز الروابط الاجتماعية داخل المجتمع.

تمثلات المرض في ثقافة الصحراء: بعض المصطلحات والتصورات الاجتماعية

يستخدم، في ثقافة الصحراء، العديد من المصطلحات والتعابير للإشارة إلى مفهوم المرض، والتي تعبر عن الحالة الصحية غير الطبيعية للجسم، وتحمل في طياتها دلالات تعاطفية وتضامنية مع المريض. ومن بين هذه التعبيرات: "موجوعة"، "بلا صحة"، "معيليل"، "فتران"، "حاس بعظامو"، "مدخول"، "مقنوط منو" (أي لا أمل في شفائه).

وتختلف تصورات الناس حول الأمراض بشكل واضح، فبعض الحالات، مثل الجرب أو الجدري، تعتبر أمراضا مخيفة تثير القلق، في حين ترى أمراض أخرى، كالحمى أو الزكام (المعروف بالبرد أو الرواح)، على أنها حالات عادية يمكن التعامل معها بسهولة.

وأشار خوليو كارو باروخا/ Julio Caro Baroja إلى أن مرض "الجرب" أو "اجرب"، بأشكاله المختلفة، منتشر على نطاق واسع نتيجة الإهمال، رغم إدراك الصحراويين الجيد لأسبابه، فضلا عن توفر أدوية فعالة نسبيا لعلاجه. أما الجدري، الذي يعرفونه بكونه مرضا معد، فهو أيضا واسع الانتشار، مما يدفعهم إلى عزل المصاب به ومراقبته عن كثب، حيث تقيم العائلة حراسة مشددة حول الخيمة التي يعالج فيها المريض[11].

ويرى الطبيب الإسباني دون كورتيس طابيا أن مرض الزهري، بمختلف أشكاله ومراحله، كان أحد أكثر الأمراض انتشارا في الصحراء، بالإضافة إلى حالات كثيرة من مرض السيلان في مراحل وأماكن مختلفة، وأمراض أخرى يعتقد محليا بأنها غير مرتبطة ببعضها[12].

كما عرف مجتمع الصحراء تداولا شفويا لمجموعة من القضايا المتعلقة بالصحة والمرض، بالإضافة إلى مجموعة من المخطوطات[13] التي تخص الطب وعلاقته بالصحة والمرض.

اشتهرت في مجتمع الصحراء بعض الأسر التي تخصصت في التطبيب، حيث يتم اللجوء إليها في حالات الأمراض الصعبة. كما برز أفراد معالجون جمعوا خبراتهم من خلال الممارسة العملية والاطلاع على كتب الأسلاف، بالإضافة إلى الخبرة الموروثة من أسرهم أو أقاربهم. وقد تفاوتت شهرة هؤلاء المعالجين، فبعضهم تجاوزت سمعتهم حدود قبيلتهم، بينما بقي آخرون معروفين فقط ضمن عشيرتهم أو قبيلتهم.

لقد عرف مجتمع الصحراء مجموعة من المعالجين الذين يمارسون الطب وفقا لطبيعة معرفتهم بالمرض. ويذكر خوليو كارو باروخا أن الطب يمارسه شخص مختص ذو خبرة، وعادة ما يكون ذلك تحت إشراف والد المريض أو شخص آخر ذي سلطة في العائلة[14].

---

[11]باروخا، ك. خ .(2015) *دراسات صحراوية* (أ. صابر، ترجمة). الرباط: مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر. (ص. 388).
[12]باروخا، ك. خ .(2015) *دراسات صحراوية* (أ. صابر، ترجمة). الرباط: مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر. (ص. 388-387).
[13] "مخطوط شفاء الاسقام العارضة في الظاهر والباطن من الاجسام" للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي (ت 1096هـ/ 1685م)

فقد لجأ إليهم الناس طلبا لخدماتهم. وأحيانا ما تتنقل اسرة المريض وتقيم إلى جانبهم لمتابعة وصفات علاجهم. ونذكر من بين هؤلاء:

- اضبيب بقبيلة مستي بايت باعمران، اشتغل ابان فترة الاستعمار الاسباني وفي ما بعدها الى غاية سنوات السبعينات من القرن العشرين.
- احمد ولد علي فال ولد محمد الشرقي المعروف بالكماني(ربما عاش ما بين1993 /1900 م) من فبيلة ايت موسى وعلي ببلاد تكنة
- اوفى[15] ببلاد شنقيط الذي قيل في مدحه:

على الشيخ أوفى ما سيأتي وما غبر سلام كريا المسك قد فاح بالسحر

سلام على من باسمه يشتفى الضنا وتقضى به الحوجى وينكشف الضرر

وقال اوفى:

شفاك واقيُك المولى من الباس من كل ضر ومكروه ووسواس

نسبت للغير ما في النفس تعرفته وليست النفس للأخرى بمقياس

ويتدخل هؤلاء المعالجون في مجموعة من الامراض والجراحات حسب تجربتهم وشجاعتهم على القيام بذلك: جراحة الرأس، والختان، ...

بعض المعاني الثقافية والصور الشعرية للمرض في مجتمع الصحراء

من بين التعابير التي يشار بها الى كل خلل يصيب جسم الانسان ويحدث فيه عدم التوازن لسبب من الاسباب كإحساسه بالألم أو الثعب أو عدم التركيز العقلي، نجد للمرض مجموعة من المرادفات: المرض، الوجيع، المغياس، السقم. غير أن هذا التعبير الأخير كثيرا ما يستعار في بعض الاشعار ليراد به الحب والشوق.

---

[14] باروخا، ك. خ .(2015) .*دراسات صحراوية* (أ. صابر، ترجمة). الرباط: مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر. (ص. 387).

[15] ويعتبر أوفى، المنحدر من قبيلة إجاتفاغه، أشهر طبيب في بلاد الترارزه. كل عقبه تقريبا درسوا الطب. نذكر منهم: محمد ولد أوفى مؤلف كتاب "العمدة"، أوفى ولد محمد ولد أوفى (أشهر أبناء أوفى قاطبة)، المختار بابه، محمد محمود، محمذن فال، عبد الله، حبيب الله. كتاب "العمدة" لمحمد ولد أوفى المتوفى حوالي 1895، وهو عبارة عن أبيات شعرية مخطوطة تزيد على الـ 2000 بيت. ويتكلم هذا الكتاب، المعروف جدا، عن التشخيص والعلاج. وهو بسيط في أسلوبه، يمكن لكل متعلم أن يفهمه. ويتناول على الخصوص الأمراض المنتشرة في بلاد الترارزه. هناك أيضا كتاب نثري في الطب العام للشيخ سعد بوه، وكتاب لمحمد فال ولد متال المتوفى 1926، وكتاب حول الطب العام لعبد الله ولد محمد فال ولد بابه.... [تاريخ الاسترجاع2024-10-12]، مـــــن [رابـــــط المقالـــــة].

(https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D9%81%D9%89_%D8%A8%D9%86_%D8%A3%D8%A8%D9%8A_%D8%A8%D9%83%D8%B1)

يقول الشاعر:

يا ملانا مغياسي فيه تراعي

محسود الْ ولفي وانجر كراعي

التبريعة: 1

سقمك د فلشي هادم كياني

آنا مات (ل) شي مني متكاني

التبريعة: 2

السقم الجاني ماكني ما كط رخاني

فلان/ فلانة ذهبت الى المستشفى "كاس الطب":

اوف من شد اخبار الطب و امن الفحوص البار

واف من داك شراب الحب مرحبت بيك أج بار

الطب هو الاستشفاء، و"الحب " أو "الفنيد" هم الأقراص الدوائية.

وثقافة الصحراء كذلك مليئة بالمصطلحات التي تحيل على المس بالجن، وهذا الكم منها يدل على شدة تأثيرها وما تحدثه من خوف في نفوس الناس لإيمانها بالغيب والارواح الشريرة. وينتج عن ذلك خللا على مستوى التوازن الصحي، ويقال عن الشخص المصاب به: 'محسوس'، 'ممسوس'، 'مسكون'، 'مبخنس'، 'خالط عليه شيء'، 'متخطي شيء'، 'خابطينو أهل الخلاء/ بلحمر/ لرياح'،.." مگرون": مصاب بالصرع.

هناك عدد كبير من الاعتقادات حول امراض مردها إلى الجن، كالمعروف باسم "لكرينة" و"اولسيس" الذي يقضي على الانسان والماشية في ظرف ثلاثة أيام[16].

وهذه نظرة سلبية يتم من خلالها تحميل المسؤولية للكائنات غير المرئية، لأن هذا النوع من الامراض يصعب اعداد وصفة دوائية له. اذ يعتقد أن الطب العصري لن يجدي نفعا في معالجة هذا

[16] باروخا، ك. خ .(2015) .*دراسات صحراوية* (أ. صابر، ترجمة). الرباط: مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر. (ص.390).

النوع من الأمراض. وبالتالي يبحث عن علاجه فيما بين عناصر الثقافة المحلية (تلاوة القرآن والحجب والتمائم والابخرة والتبرك أو زيارة بعض الأماكن المقدسة (الاضرحة، الأشجار، المغارات،..).

مسميات ودلالات بعض الامراض في ثقافة الصحراء

وهناك دلالات ومسميات لكثير من الأمراض في ثقافة الصحراء. وقد تعرف عليها انسان الصحراء وخبرها، نذكر من بينها:

"البرد": من بين الامراض المنتشرة في الصحراء تتجلى اعراضه في آلام الظهر والمفاصل والتهاب المثانة مع كثرة التبول.

"المكلفة": إصابة ناجمة عن التعرض المباشر لحرارة الشمس على الرأس.

"الخايبة": التورم الشامل للجسم

"اوراغ": حرقة المعدة

"لمحور": شعور بحرقة في مقدمة المعدة، يحدث غالبا بسبب الإفراط في تناول الدهون أو شرب الشاي مباشرة بعد اللبن.

"اڴندي": مرض ناتج عن تناول مواد تحمل نسبة كبيرة من الملوحة، الحموضة، الحرق.

ويقال: " إِڴِنْدِ الناس المغْلومه": يكنى به عن التخمه.

"تيمشي": مرض جلدي على شكل حساسية يحك فيه الجلد بكثرة.

"الڴوب": بقع جلدية جافة يختلف شكلها حسب الجلد وتغطيها قشور رمادية اللون.

"الفزير": حب جلدي يحمل رأس متقيح

"الفدع": التواء الكاحل الذي قد يؤدي الى تمزق في اشرطة النسيج التي تساعد ربط العظام مع بعضها، وغالبا يصيب رسغ اليد أو القدم.

"اتزڴنين": الدوار والدوخة.

"الدوسة": الإغماء، وفقدان الوعي بشكل مؤقت. وهناك من يجعلهما "اتزڴنين والدوسة" تفيدان نفس المعنى.

نظرة اجتماعية ودينية: بين العقاب والابتلاء

في التصورات التقليدية لمجتمع الصحراء، ينظر إلى المرض:

- إما كعقوبة إلهية نتيجة للذنوب، (ذنوب– ظلم– خرج فيه)
- أو كابتلاء واختبار للصبر والإيمان.

ويمكن أن تغير قضية الصحة والمرض من نظرة الناس للشخص المريض من جهة، ومن نظرته إلى نفسه من جهة أخرى.

حيث ينعت بنوع مرضه، وقد يصبح وصما يلازمه بملازمة المرض له. وفي هذه الحالة بدل أن يحمل المريض تعاطفا وتضامنا اجتماعيا يحمل معاقبة معنوية. ويقال مثلا:

لجرب: المصاب بالجرب

لگرع: المصاب بالقرع، وهو ناتج عن نمو الفطريات في فروة الرأس.

لعور أو لعرج: لعور الذي ذهب بصر احدى عينيه. لعرج من يميل الى جنبه اثناء المشي لعلة في رجله. ويقال أيضا "يجلخ/ يزلخ من كراعو" يعني يظلع ويعرج.

دلالة الأسماء على الصحة والمرض

يولي أفراد المجتمع أهمية كبيرة للصحة والسلامة، ليس فقط من خلال العناية الطبية والتقاليد العلاجية، بل حتى في اختيار أسماء أبنائهم، حيث تحمل بعض الأسماء دلالات تعكس التضرع إلى الله طلبا للحماية وطول العمر. ومن هذا المنطلق، نجد أن العديد من الأسماء ترتبط بمفاهيم العافية والأمان، مثل **سالم، سويلم، السالمة، سلم، تسلم**، التي تعكس الرغبة في التمتع بالصحة والسلامة.

وتوجد أسماء أخرى تحمل دلالات الحفظ والرعاية الإلهية، مثل **الحافظ، المحفوظ، الناجم، الناجمة**. إضافة إلى أسماء تحمل معاني التحصين والوقاية، مثل **حيجب، يحجبها، المحجوب**، وأخرى تشير إلى السلوك الآمن والتوجيه السليم، مثل **السالك، السالكة، سليكة** .تعكس هذه التسميات المعتقدات العميقة للأفراد حول تأثير الأسماء في حياة الإنسان، وارتباطها بالأماني المتعلقة بالصحة

وطول العمر. وتتطور دلالات الأسماء بمرور الزمن تحت تأثير التغيرات الاجتماعية والثقافية، مما يعكس تحول التصورات الجماعية حول الصحة والمرض .

الأمثال الشعبية في مجتمع الصحراء : انعكاس لمفهوم الصحة والمرض

تحث الأمثال الشعبية على سلوكيات اجتماعية معينة، إذ تترك تأثيرا كبيرا على حياة الناس. والكثير منها في ثقافة مجتمع الصحراء له ارتباط وثيق بالصحة والمرض، ومن بينما كذلك ما يحيل عليها ليفيد معاني أخرى. وهذا يدل على ما لها من وقع في الحياة الاجتماعية للناس. ومن أمثلة ذلك:

- "سالمْ اسمينْ يوكلْ ارْبِيعْ دايرْ": يضرب في أن السلامة هي كل شيء
- "الصحة ما عندها ثمن": لا تقدر الصحة بثمن.
- " لمريض طبيب راسو": يعرف المريض كيف يساهم في معالجة نفسه أكثر من أي شخص آخر.
- "لطرش امرك الجماعة ولعمى امرك الدنيا": لا يسمع الأصم ما يدور من حديث بين أفراد الجماعة، ويتمتع الأعمى بما يرى. ومعنى ذلك لا تكتمل حياة الشخص الا بسلامة حواسه.
- " اشفاكم الله ولا بلانا": دعاء لكم بالشفاء، ودعاء لنا بعدم الابتلاء.
- "أعدى امن أجرب": يضرب لشدة وسرعة العدوى.

وهناك من الامثال من تستعير مصطلحات الصحة والمرض للتعبير عن بعض الظواهر الاجتماعية، ك:

- "الناس مع الناس ولكرع وحدو": تفيد عزلة المصاب بالقرع عن الجماعة.
- "لجرب ما احك لو الا فمو": تفيد الاعتماد على النفس.
- "سول لمجرب لا تسول الطبيب": تفيد الاستفادة من خبرة دوي المراس.
- "يبرا اجرح ما يبرا كلام العار": تفيد أن للكلمات النابية وقع كبير لا ينسى.
- "لي سكت عن لي ضرو الشيطان غرو": تفيد المطالبة بالحقوق.
- "لي اخبط ايدو ما يگول اح": تفيد أ نه يجب أن يتحمل الانسان مسؤولية أفعاله.
- "لي ما كتل إسمن": تفيد أن هناك اما الحياة أو الموت.

• " جا لاهي يداوي عينو ساعة اعورها": تفيد بعض التصرفات الخاطئة.

وقد بلور مجتمع الصحراء مجموعة من العبارات التي تفيد متانة الصحة. أي لوصف شخص خال من المرض ويتمتع بصحة جيدة، ومنها:

• "اصح من فرس": تشبيه الانسان ذو الصحة الجيدة بالفرس.
• "بيه المتن/ المنع": تفيد الانسان الذي يتمتع بالصحة الجيدة
• "امتن مناش": تفيد الانسان الذي يتمتع بالصحة الجيدة

وقد بلور مجتمع الصحراء كذلك مجموعة من العبارات على شكل ادعية لدرء العين وتلافي تأثيراتها على الشخص السليم والمعافى والذي يتمتع بصحة جيدة، ويقال:

• "رافد الباس": درء كل مكروه.
• "ما هو فالو": أن لا يقدر الله عليه أي مكروه.
• "اسلمو": أن يسلم الشخص من الداء.
• "لا يربيه": أن يصح ويقوى.
• "لا يعطلو": أن لا يصيبه مكروه.

تعكس الأمثال الشعبية في مجتمع الصحراء فهما عميقا لمفاهيم الصحة والمرض، حيث تستخدم لتعزيز القيم والسلوكات الاجتماعية، وتوجيه الأفراد نحو العناية بصحتهم وتقدير العافية. كما تعكس هذه الأمثال والعبارات ارتباط الصحة بالهوية الثقافية، مما يبرز دور الموروث الشعبي في تشكيل التصورات المجتمعية حول المرض والتعافي.

الصحة والمرض من خلال الشعر الشعبي لمجتمع الصحراء

يقول الشاعر عن مجتمع الصحراء بين الامس واليوم:

يامس كان مركوبها جمال   واليوم مركوبها حديد

وعيشتها حلال وأولادها ابطال   وعيشتها فنيد وأولادها بعيد

معنى ذلك أن الناس بالأمس كانوا يركبون الإبل وعيشتهم حلال واولادهم أبطال، أما اليوم فيركبون على المحركات وعيشتهم الحبوب الدوائية وبعد أبناءها عنها.

رغم ان العمى يشكل احد مشاكل الصحة لأنه يعطل عضوا من أعضاء الجسم، فإن الشاعر الحساني يورده على سبيل الاستعارة، إذ تسببت عينه في اغرائه، حيث لمح وجود فتاة ما تحاول اصابته بالعمى، قائلا:

عيني ملت اتغيويني   لابد لك من تعميها

ما توكف كون على عيني   ولا تكعد كون عليها

ويورد أيضا على أن رؤيتها تعالجه وتشفيه، ويطلب ان يشفى منها لأنها اثرت فيه كثيرا بجمالها قائلا:

داويني منك بتخراص   يكاني من حزيمو نبرا

وقيل في استعارة لفيروس كرونا

عزلوني عن ريمي   كالو عني محبوس

انا ماني صيني   وهي ماهي فيروس

ويقول الشاعر:

من لزمي كاع انعود افدار   انا والنين حنا لثنين

ويفوت الدهر بلا تكدار   انتم الا في الفيه النين

منين اتصح النين انصح   ويلا مرضت نمرض في الحين

ومنين اتكح النين انكح   وامنين اتنين النين انين

يقول الشاعر:

مِنْكُمْ رادْ اللَّهْ انُّ جَنْ   اشِكْ انُّ مزالْ اصحيحْ

كِيفْ الصَّدْراِيَ ما تفْطنْ   لِعْوَجْهَ كونْ إلينْ اطِّيحْ

"الصدْراِيَ ماتفطنْ لِعْواجْهَ إلينْ اطِّيحْ": أي أن النبتة لا تنتبه لاعوجاجها حتى تسقط. ويضرب به المثل للشخص الذي لا ينتبه لبوادر الضرر إلى أن يقع فيه.

الأبعاد الاجتماعية والثقافية لأدعية المرض في الصحراء

- "يعطيك العمى والزحاف": الدعاء على الشخص بالعمى والزحف غير الطبيعي
- "يعطيه التكوشيم": الدعاء له بالإعاقة.
- "يعطيه تيمشي يبرا شي ويكوم شي": الدعاء له بالحكة
- "يعطيه المحور": الدعاء له ب لحرقة التي تصيب مقدم المعدة، على سبيل المثال: الافراط في تناول الدهون أو شرب الشاي بعد شرب اللبن مباشرة.
- "يعطيه الخايبة": الدعاء له ب التورم الشامل للجسم
- "يعملو رافد باسو": الدعاء له أن يصاب بما كان يمكن أن يصاب به شخص آخر.

الصحة والمرض في ثقافة الصحراء: منظور عمري وجنساني

- كبار السن: معرضون لكثرة الامراض المتعلقة بوهن الصحة والخرف ...
- صغار السن: معرضون لبعض الامراض لسوء استعمال المجهود العضلي
- الذكور معرضون للإصابة بالبروستات...
- الاناث معرضات للإصابة ب:

– أمخسور: سقوط المولود قبل موعده

– أمزروك: "فلانة كابضها امزروك" يعني انها تسقط مواليدها باستمرار قبل الموعد.

– الروماتيزم وامراض التذي...

– السمنة (عن طريق عملية التبلاح[17]): هي صحة وجمال في ثقافة الصحراء، بينما تعتبر مؤشرا على المرض في ثقافات أخرى.

يقول الشاعر:

كون وحدة محزمها زين
كون وحدة فيه ثنثين
كون وحدة تزهه للعين

[17] نظام غذائي يهدف إلى تسمين المرأة لتحضيرها للزواج أو لتعزيز مكانتها الاجتماعية والجمالية في مجتمع الصحراء.

ومعناه أنها جميلة وبدينة، تزن ما يعادل وزن امرأتين، وفي نفس الوقت جذابة للعين، أي أن مظهرها مرض ويلفت الانتباه.

وهناك تلازمات وتناذرات متعلقة بالثقافة، فهي تحمل في طياتها مفاهيم أو عناصر قد تترافق معا أو تتعارض فيما بينها، مما يعكس تعقيدها وتنوعها وتأثيرها على المجتمع والفرد، مثال:

- "كد كعدتها كد كلمتها": امتلاء جسد المرأة يعزز مكانتها الاجتماعية.
- "النويكضة ما ينسمع كلامها": نحافة المرأة تقلل من تأثيرها ومكانتها في المجتمع.

المرض والنحافة عيب بالنسبة للمرأة لأنه يحول بينها وبين الزواج: "دائما طايحة"، أي دائما مريضة.

وتلجأ النساء إلى المؤسسات الاستشفائية أكثر من الرجال، وليس ذلك بالضرورة نتيجة وعي أكبر بالصحة والمرض، بل يرتبط بعوامل أخرى، منها ميزانية الأسرة التي قد لا تتحمل تكاليف علاج كلا الزوجين. بالإضافة الى أن المرأة في كثير من الأحيان تختبر قدرة الرجل على الاهتمام بها صحيا.

ويعتبر جسد المرأة "مفتوحا" خلال فترات معينة من حياتها. على سبيل المثال أثناء فترة الدورة الشهرية وأثناء الحمل وأثناء الولادة. كل هذه الفترات هي حالات انتقالية (مرور). في المعتقد التقليدي، يعتبر كل ما هو انتقالي غير قابل للفهم وأكثر صعوبة في الحماية، ويكون الشخص أكثر عرضة للخطر وبالتالي الهدف المفضل للساحر. تتجنب النساء، وخاصة الفتيات الصغيرات، إخبار أي شخص بموعد الدورة الشهرية. من دمائهم يمكن أن يؤذيها بطريقة صوفية ويؤثر على خصوبتها. وبسبب هذا الاعتقاد "بالجسد المفتوح" يجب على المرأة الحامل اتباع العديد من اللوائح والمحظورات خلال هذه الفترة لتجنب الوقوع ضحية لهجمات قوى الشر التي يمكن أن تدخل جسدها وتحول الطفل. وما يمكن أن نلاحظه هنا هو أن المرأة مسؤولة عن صحة طفلها، وتستطيع تجنب المشاكل من خلال سلوكها. وهي حقيقة تثقل كاهلها، لأنه يمكن الحكم عليها بأنها استهنت بالمخاطر.

حرص المرأة على صحة جسدها تبدأ منذ بداية لباسها "الملحفة"[18] ابتداء من سن 15 سنة تقريبا. فهي لا تخرج من المنزل الا للضرورة وإذا ارادت أن تستمتع بخرجة فلا يكون لها ذلك الا بعد أن تخف كثيرا اشعة الشمس أو حتى يحل الليل.

الصحة والمرض في ثقافة الصحراء : بين الطب الشعبي والرسمي

استخدمت مسميات شعبية للأمراض مثل: "أكندي"، "أوراغ"، "المكلفة"، "الخايبة"، وغيرها. وارتبطت مفاهيم الصحة والمرض في الثقافة الشعبية بعوامل متعددة:

- التبرك بالأولياء والصلحاء وزيارة الأضرحة طلبا للشفاء.
- استخدام التمائم (الصراير) والحجب (تيجكريت) للحماية من الأمراض.
- الاعتقاد بتأثير عوامل خارجية غير مرئية مثل العين (الحسد) والتوكال وما ينتج عنه من أضرار.
- الاستعانة بالنباتات والحيوانات والتربة والأحجار في العلاجات الشعبية.

وبفعل التحولات المتسارعة التي طرأت عليه، بات مجتمع الصحراء يعتمد بشكل متزايد على المؤسسات الاستشفائية الحديثة، حيث أصبح المريض يلجأ إلى الطبيب، باعتبار أن مهنته تكتسب الشرعية في تشخيص المرض. في هذه العلاقة، يجد المريض نفسه في موقع الضعف، بينما يكون الطبيب في موقع القوة، مما يفرض على المريض أن يعرض نفسه أمام الطبيب، سواء جسديًا أو نفسيًا، بشكل جزئي أو كلي. نتيجة لذلك، تتسم نظرة المرضى للأطباء بمزيج من المشاعر المتضاربة؛ فهم يجمعون بين الاحترام والرهبة، وبين الرغبة في الاعتماد عليهم والشعور بالاستياء من ذلك الاعتماد في الوقت نفسه.. وبالرغم من ان العلاقة بين الطبيب والمريض هي علاقة (تبادلية) تضم نوعا من التبادل في صورة توقعات سلوكية معينة، فان مركز وقوة الجانبان ليست متساوية[19].

ويعتمد الطبيب في تشخيصه ومعالجته للمرض على معطيات علمية وبيولوجية، بينما يستند المريض في فهمه للمرض وعلاجه إلى محددات ثقافية واجتماعية.

---

[18] قطعة ثوب واحدة أو رداء تلفه المرأة حول بدنها وتلتحف به فوق لباسها

[19] الوحيشي، أ. ب.، & الدويبي، ع. ا .(1989). *مقدمة في علم الاجتماع الطبي* (ص. 122-123). بنغازي، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

والطبيب هو من بيئة، من طبقة، له مكانة اجتماعية، له ثقافة، له لغة... بينما المريض: من بيئة وطبقة أخرى، وله مكانة اجتماعية وثقافة ولغة مختلفة.

وللطبيب سلطة وقوة وهو آمر، بينما المريض تابع وضعيف وطيع. وللطبيب نظرته للمريض على أنه مريض، زبون، مصدر رزق، بينما للمريض نظرته على أن الطبيب هو معالج وسفاك دماء... بل أصبح كثيرا ما يشكل الطبيب رقيبا أخلاقيا، لأنه ينهي المريض عن مجموعة من السلوكات الاجتماعية التي قد تكون هي المسبب الرئيسي للمرض مثل الإقلاع عن التدخين وشرب الخمر وغيرها. فهو بذلك يقوم بعمل داخل تنظيم معترف به قانونا وهو المؤسسة الاستشفائية.

ويعتبر المستشفى تنظيما اجتماعيا أنشئ بطريقة مقصودة لتحقيق أهداف محددة.

وعند دخول المستشفى، يشعر المريض بأنه في مكان غريب. يخضع فيه إلى مجموعة من الضوابط: الحركة، نظام الغذاء، النوم، الزيارة،...لذلك تجد الكثير من الناس:

- يحملون تمثلا سيئا عن المستشفى.
- يفضلون الصبر على تحمل آلام المرض
- يحيل لديهم المستشفى على العزلة والوحدة
- يرى البعض المستشفى كمكان يرتبط بالموت
- يخاف من المواد والوسائل الطبية
- ترفض بعض النساء المريضات استشارة الأطباء الذكور، كما يرفض بعض الرجال المرضى استشارة الطبيبات الإناث.

استنتاجات

ارتبطت الصحة والمرض بالبيئة الاجتماعية لمجتمع الصحراء كما ارتبطت ببيئات اجتماعية أخرى. وتختزن الذاكرة المحلية أمراضا ووبئة أصبح يؤرخ بها. وشاع صيت مجموعة من المعالجين الذين اختلفت درجة معرفهم العلاجية.

وهناك مجموعة من التعابير التي تحيل على الصحة والمرض. وقد نال المس بالجن نصيبا كبيرا من ذلك من خلال مجموعة من التعابير المترادفة. كما أن ينعت ذوو العاهات بمصابهم تمييزا لهم عن الاصحاء.

وطور مجتمع الصحراء مجموعة من الأمثال الشعبية والأشعار التي تعكس مفاهيم الصحة والمرض.

وتميز ثقافة الصحراء في الصحة والمرض بين كبار السن وصغارها، وبين الذكور والاناث. وقد نالت المرأة حظا من ذلك.

وتربط في المؤسسات الاستشفائية العصرية علاقات متفاوتة فيما بين الطبيب والمريض، من حيث المعرفة والمكانة واللغة والسلطة وغيرها. كما يكمن الفارق بين الطبيب التقليدي والطبيب العصري في منهجية التشخيص

بيبليوغرافيا

-المكاوي، ع .(2006). *علم الاجتماع الطبي، مدخل نظري.* (https://sciences.univeyes.net/psychology0000/Psychology0069.pdf)

-حمادي، ي.، جاسم، خ. ح .(2006) .*علم الاجتماع الطبي في ميدان الصحة والمرض* .دراسات اجتماعية، العدد 44.

-خليل، ن. ع .(2006) .*في علم الاجتماع الطبي، ثقافة الصحة والمرض* .مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.

-شرايمي، م .(2021) .*علم الاجتماع الاقتصادي ومفهوم "الدمج (Embeddedness).* "ضمن كتاب *سوسيولوجيا التنظيمات: مقاربات جديدة*، مطبعة انفو برنت، فاس.

-كارو باروخا، خ .(2015) .*دراسات صحراوية* .ترجمة: أ. صابر. مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط.

-Blackwell, E. (1902). Essays in Medical Sociology (Vol. 1 & 2). E. Bell.

-Freidson, E. (1970). Professional Dominance: The Social Structure of Medical Care. Atherton Press.

-Hafferty, F. W., & Castellani, B. (2019). Medical Sociology. ResearchGate. https://www.researchgate.net/publication/330825516_MEDICAL_SOCIOLOGY

-Henderson, L. J. (1935). Physician and Patient as a Social System. Published May 2.

-McIntire, C. (1894). The Importance of the Study of Medical Sociology. Bulletin of the American Academy of Medicine, 1, 425-434.

-Mechanic, D. (1978). Medical Social Sociology. New York.

-Merton, R. K. (1957). Some Preliminaries to a Sociology of Medical Education. Harvard University Press.

-Parsons, T. (1955). Structure sociale et processus dynamique: Le cas de la pratique médicale moderne. Pion.